تمثلات الذات الأنثوية في الرواية النسوية الجزائرية

Representations of the Female Self in Algerian Feminist Novels

فاطمة بور

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)،

fatima.bor@univ-tlemcen.dz

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2026/01/10
تاريخ القبول:24-04-2026

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل صورة الذات في الرواية النسوية الجزائرية، من خلال مقاربة نقدية ثقافية تستند إلى مفاهيم الجنس والهوية والاختلاف، وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الرواية النسوية أعادت تشكيل صورة الذات الأنثوية بوصفها ذاتًا فاعلة وواعية، في مقابل تفكيك صور الآخر الذكوري والاجتماعي والثقافي.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، مع الاستعانة بنماذج من الرواية الجزائرية، للكشف عن آليات السرد التي وظفتها الكاتبات في بناء هذه الثنائية. وتوصلت الدراسة إلى أن الخطاب الروائي النسوي لا يسعى إلى إقصاء الآخر، بقدر ما يعمل على مساءلته وإعادة صياغة العلاقة معه في أفق إنساني أكثر توازنًا.**الكلمات المفتاحية:** الذات، الآخر، الرواية النسوية، الهوية، الخطاب السردي.

ABSTRACT :

This study examines the representation of the female self in Algerian feminist novels through a cultural-critical lens, focusing on gender, identity, and difference. It posits that these novels reconstruct the female self as an active, conscious subject while deconstructing prevailing representations of the male, social, and cultural Other. Using a descriptive-analytical methodology and illustrative examples from Algerian novels, the study investigates the narrative strategies employed by female authors to articulate this duality. Findings indicate that feminist narrative discourse does not aim to exclude the Other but seeks to critically engage with it, fostering a more balanced and humane relational framework.

Keywords: Female Self ؛ Other ؛ Feminist Novel ؛ Identity ؛ Narrative Discourse.

مقدمة:

لقد ارتبط تشكّل الخطاب الروائي النسوي في الجزائر بسياقات تاريخية معقّدة، كان من أبرزها تجربة الاستعمار وما خلّفته من آثار نفسية وثقافية، ثم تجربة الدولة الوطنية بما حملته من وعود التحرّر وحدود التحقّق. وفي قلب هذه التحوّلات برز صوت المرأة الروائية بوصفه ممارسة رمزية للمقاومة وإعادة بناء المعنى، حيث تحوّل الجسد والذاكرة واللغة إلى فضاءات للتعبير عن القهر تارةً، وعن الرغبة في الانعتاق وإعادة تعريف الذات تارةً أخرى. وبذلك لم تعد الكتابة النسوية مجرّد سرد لتجربة شخصية، بل غدت فعلًا ثقافيًا يسائل البنى الاجتماعية والتمثّلات الذكورية السائدة، ويقترح أشكالًا جديدة لفهم الهوية النسوية داخل مجتمع يتأرجح بين المرجعيات التقليدية ومتطلبات الحداثة.

وقد أفرز التحول الاجتماعي والثقافي الذي عرفه العالم العربي خلال العقود الأخيرة خطابًا سرديًا جديدًا، كان من أبرز تجلياته بروز الرواية النسوية بوصفها فضاءً تعبيريًا تسعى من خلاله المرأة الكاتبة إلى مساءلة ذاتها وعلاقتها بالآخر.

وقد اتخذت هذه الرواية من ثنائية الذات والغير منطلقًا فكريًا وجماليًا لطرح قضايا الهوية، والاختلاف، والسلطة، في سياق ثقافي طالما هيمنت عليه الرؤية الذكورية. ومن هنا تتجلى أهمية دراسة الذات الأنثوية في الرواية النسوية الجزائرية، بوصفها مدخلًا لفهم التحولات العميقة في تمثّل المرأة لذاتها وللعالم من حولها.

ومن هنا نطرح التساؤل الآتي:

- كيف تتجلّى تمثلات الذات الأنثوية في الرواية النسوية الجزائرية، وما الأبعاد السردية والثقافية والهوياتية التي تحكم بناء هذه الذات داخل الخطاب الروائي؟

وتهدف هذه الدراسة للكشف عن الأبعاد السردية والثقافية والهوياتية التي تسهم في تشكيل هذه الذات داخل الخطاب الروائي، مع بيان علاقتها ببنى المجتمع والتاريخ والذاكرة والتحولات الفكرية.

2.الذات الأنثوية مقاربة تركيبية:

تحيل الذات في الدراسات الفلسفية والنقدية إلى الوعي الفردي القادر على إدراك نفسه والعالم، وهي ليست معطًى ثابتًا، بل كيان متحوّل يتشكل عبر التجربة والتفاعل مع المحيط. وفي السياق النسوي، تكتسب الذات بعدًا نضاليًا، إذ ترتبط بفعل التحرر من التهميش وإعادة بناء الهوية الأنثوية خارج القوالب النمطية. التي شكلتها الأعراف والتقاليد.

تتأسس الذات الأنثوية في الفكر النسوي على كونها بناءً ثقافيًا واجتماعيًا وسرديًا. فقد أكدت سيمون دي بوفوار أن المرأة لا تولد امرأة بل تُصبح كذلك. ((Simone de Beauvoir، 1983، صفحة 13)، في إشارة واضحة إلى أن تشكّل الذات الأنثوية يتم داخل منظومة اجتماعية تُعيد إنتاج الفروق الجنسية. وينسجم هذا التصور مع رؤية عبد الله الغذامي الذي يرى أن الذات الأنثوية تُنتَج داخل خطاب ثقافي لغوي يفرض عليها موقع التابع، ويعيد تشكيل وعيها بذاتها عبر آليات رمزية. (الغذامي ، 2000، صفحة 27) .

ومن جهة أخرى، يربط النقد النسوي الأدبي، كما عند إيلين شووالتر، الذات الأنثوية بالفعل السردي، معتبرًا إياها وعيًا كتابيًا بديلًا يسعى إلى تمثيل التجربة النسائية خارج القوالب الذكورية المهيمنة. (Showalter، 1977، صفحة 11)ولا تنفصل هذه الذات السردية عن بعدها الجسدي والاجتماعي، فالذات الأنثوية في المجتمعات الأبوية ذاتٌ محاصَرة، تُعاد صياغتها عبر آليات الضبط والسلطة، خاصة من خلال الجسد، هذا الجسد الذي يتحول إلى عبء يثقل المرأة في مواجهة مصاعب الحياة.

فالذات الأنثوية لا تتشكل إلا عبر الصراع، فهي وعيٌ مقاوم ينمو داخل مواجهة مستمرة مع القهر الاجتماعي والسياسي والذكوري. (السعداوي ، 2006، صفحة 19) وبذلك، تتقاطع هذه التصورات في تأكيدها أن الذات الأنثوية ذات ديناميكية مقاومة، ومتعددة الأبعاد، تتشكل في علاقة جدلية مع الآخر، وتجد في الكتابة الروائية مجالًا لإعادة بناء الهوية وتفكيك أنساق الهيمنة، والقوالب النمطية التي شكلتها الأعراف والعادات والتقاليد المجتمعية

3. نشأة الرواية النسوية الجزائرية وسياقها:

ارتبط ظهور الرواية النسوية العربية بسياق تاريخي وثقافي خاص، تميز بتنامي الوعي بقضايا المرأة، وبروز الحركات النسوية، وتزايد فرص التعليم والنشر أمام الكاتبات. وقد شكّلت الكتابة السردية أداة للتعبير عن المسكوت عنه، ووسيلة لتفكيك البنى الاجتماعية والثقافية التي كرّست دونية المرأة.

لم تكن الرواية النسوية مجرد كتابة عن المرأة، بل كتابة من منظورها، تسعى إلى إعادة صياغة العالم وفق رؤية أنثوية مغايرة تُبرز التجربة النسائية في علاقتها بالذات وبالآخر، فقد مارست الكاتبة العربية بحماس كبير النوع الأدبي الروائي وجعلت منه نافذة للبوح بهمومها منتقدة الآخر المتمثل غالباً في شخص الرجل الذي يحيل إلى سلطة ذكورية قمعية. (بن مسعود، 2006، صفحة 14) .

أما الرواية النسوية الجزائرية فقد تميزت بخصوصية مزدوجة بين اللغة والسياق، فمن حيث اللغة فقد فضلت بعض الروائيات الجزائريات الكتابة باللغة الفرنسية، في حين اختارت بعضهن الكتابة باللغة العربية، أما من جانب السياق فقد كتبت المرأة ضد الاستعمار الفرنسي وجرائمه البشعة ضد الشعب الجزائري، فكانت الرواية الملحمية الناطقة باسم الثورة التحريرية، وبعد الاستقلال كرست المرأة كتاباتها حول رفض الاضطهاد والتهميش الذي يلحق المرأة في المجتمعات العربية والمجتمع الجزائري.

4. تمظهرات الذات الأنثوية في الرواية النسوية الجزائرية:

1.4 الذات الأنثوية المظلومة:

تُعدّ الرواية النسوية الجزائرية فضاءً سرديًا خصبًا لتجسيد معاناة الذات الأنثوية المظلومة، حيث تتحوّل الكتابة إلى فعل مقاومة ثقافية واجتماعية في مواجهة منظومة أبوية رسّخت عبر التاريخ أشكالًا متعددة من التهميش والإقصاء. فالمرأة في هذه الروايات لا تظهر بوصفها كائنًا هامشيًا تابعًا، بل ذاتًا واعية بذاتها وبقهرها، تسعى إلى إعادة تعريف وجودها داخل مجتمع يقيّد حريتها الجسدية والرمزية. وتنهض هذه الأعمال على تفكيك الصمت التاريخي المفروض على المرأة وتحويل التجربة الفردية إلى خطاب سردي جماعي يكشف آليات الظلم الاجتماعي.

في هذا السياق، تمثل رواية نساء الجزائر في شققهن لآسيا جبار نموذجًا تأسيسيًا في الكتابة النسوية الجزائرية، إذ تصوّر الذات الأنثوية محاصَرة داخل فضاءات مغلقة، مادية ورمزية، تعكس وضع المرأة داخل المجتمع. فالمرأة في الرواية تعيش عزلة قسرية داخل "الشقة" التي تتحوّل إلى رمز للاحتجاز الاجتماعي، ولا تجد خلاصها إلا في استعادة الصوت والكلام. تؤكد جبار على مركزية اللغة بوصفها أداة تحرّر، حيث ترى أن "الحديث هو الوسيلة الوحيدة لكسر الجدران التي تفصل النساء عن ذواتهن وعن العالم" (آسيا جبار، 2002، صفحة 15). ومن خلال هذا الطرح، تُبرز الرواية كيف يصبح الصمت شكلًا من أشكال العنف الرمزي، في حين يغدو الكلام فعلًا مقاومًا يعيد للذات الأنثوية حضورها وفاعليتها.

وتتعمّق صورة الذات الأنثوية المظلومة في رواية الربيع اليائس لفاطمة تواتي، التي تتناول معاناة المرأة عبر أجيال متعاقبة، مبيّنة كيف ينتقل القهر من الأم إلى الابنة، ويتحوّل إلى ذاكرة أنثوية جماعية. فالمرأة في هذه الرواية لا تعاني ظلم اللحظة الراهنة فقط، بل ترث تاريخًا من الإقصاء والحرمان، حيث تعبّر إحدى الشخصيات عن هذا الامتداد القهري بقولها: "نولد ونحن نحمل وجع أمهاتنا قبل أن نتعلّم معنى الحياة" (فاطمة تواتي ، 2006، صفحة 74). وتكشف الرواية من خلال هذا المنظور أن الذات الأنثوية ليست ضحية فردية، بل نتاج بنية اجتماعية تعيد إنتاج التهميش باستمرار.

أما في رواية صلاة الخوف للطفية بن منصور، فيتخذ ظلم الذات الأنثوية بعدًا نفسيًا عميقًا، حيث تركّز الكاتبة على الصراع الداخلي للمرأة، والخوف المزمن الذي يسكنها نتيجة العنف الرمزي والاجتماعي. فالخوف هنا ليس حالة نفسية عابرة، بل بنية شعورية ناتجة عن الإقصاء وغياب الأمان الاجتماعي. تقول الساردة: "الخوف يسكنني لأن العالم لم يترك لي مساحة لأكون كما أريد" (لطيفة بن منصور، 2010، صفحة 112). ومن خلال هذا التصوير، تكشف الرواية أن تهميش المرأة لا يمارس فقط عبر القوانين والعادات، بل يتغلغل في وعيها ويشكّل علاقتها بذاتها وبالآخر.

وتتقاطع هذه الروايات في تقديم الذات الأنثوية بوصفها ذاتًا واعية بقهرها، تسعى إلى تجاوزه عبر السرد والذاكرة واستعادة الصوت. فالكتابة النسوية الجزائرية لا تكتفي بتسجيل المعاناة، بل تعمل على مساءلة البنى الثقافية والاجتماعية التي أنتجتها، وتحويل الألم إلى خطاب نقدي يفضح آليات الإقصاء ويؤسس لرؤية جديدة للمرأة داخل المجتمع. وهكذا تغدو الرواية النسوية فضاءً لإعادة بناء الهوية الأنثوية، لا باعتبارها ضحية فقط، بل ذاتًا فاعلة قادرة على المقاومة وإعادة صياغة مصيرها.

2.4 القهر الأنثوي:

في المخيال الشعبي العربي اقترنت المرأة بالجسد، فأصبحت رمزاً للخجل تقول الروائية فضيلة فاروق معبرة عن ذلك في روايتها تاء الخجل " منذ العائلة...منذ المدرسة... منذ التقاليد منذ الإرهاب كل شيء عني كان تاء للخجل كل شيء عنهن تاء للخجل منذ أسمائنا التي تتعثر عند آخر حرف، منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة، منذ أقدم من هنا، منذ والدتي التي ظلت معلقة بزواج ليس زواجاً تماماً، منذ كل ما كنت أراه فيها يموت بصمت، منذ جدتي التي ظلت مشلولة نصف قرن من الزمن إثر الضرب المبرح الذي تعرضت له من أخ زوجها وصفقت له القبيلة، وأغمض القانون عنه عينيه...لا شيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء، لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي، وكثيرا ما هربت منك لأنك مرادف لتلك الأنوثة" (فضيلة الفاروق، 2009، صفحة 110)

3.4 الذات المكسورة:

في الرواية النسوية الجزائرية تتجلّى الذات المكسورة بوصفها نتاجًا مركّبًا لعلاقات القهر الاجتماعي والذاكرة التاريخية والجسد المؤنث بوصفه مجالًا للهيمنة والإنكار. فآسيا جبار تصوغ ذاتًا ممزّقة بين اللغة والذاكرة، حيث يتحول الفعل الكتابي إلى محاولة لترميم كسرٍ وجودي عميق ناتج عن الازدواج اللغوي والاستلاب التاريخي، وهو ما يجعل الذات الأنثوية تعيش انقسامًا دائمًا بين ما تريد قوله وما يُفرض عليها الصمت حياله. (آسيا جبار، 2002، صفحة 47). وفي السياق ذاته، تبرز عند أحلام مستغانمي ذاتٌ أنثوية محكومة بالخسارة العاطفية والوجدانية، إذ يُعاد إنتاج انكسارها عبر الحب ذاته، بوصفه علاقة غير متكافئة تُقصى فيها المرأة عن حق البوح والتعبير، فتغدو الذات مكسورة بصمت اجتماعي مشروع ثقافيًا. (أحلام مستغانمي ، 2003، صفحة 89). ويتخذ هذا الانكسار بعدًا أكثر عنفًا، حيث يتحول الجسد الأنثوي إلى فضاء للانتهاك والخذلان، وتُختزل الذات في جسدٍ مسلوب الصوت، مما يعمّق الشرخ بين الوعي الذاتي والوجود الاجتماعي. (فضيلة الفاروق، 2009، صفحة 112). أما زهور ونيسي فتقدّم نموذجًا لذاتٍ مكسورة تلجأ إلى اللامبالاة كآلية دفاع نفسي، إذ يصبح التبلّد الشعوري استراتيجية للنجاة من الإحساس الزائد في مجتمع يعاقب المرأة على فرط الإحساس والوعي. (زهور ونيسي ، 1985، صفحة 63). وعليه، فإن الذات المكسورة في الرواية النسوية الجزائرية ليست حالة فردية عابرة، بل بنية سردية تعكس اختلال العلاقة بين المرأة وذاتها ومحيطها، وتكشف عن وعي نقدي يسعى إلى تفكيك أنساق القهر وإعادة كتابة الذات من موقع الجرح والاعتراف.

4.4 الذات المهمشة:

تُصوَّر الذات الأنثوية في كثير من الروايات النسوية بوصفها ذاتًا مهمشة، تعاني القمع الاجتماعي والنفسي، وتعيش على هامش القرار والاعتراف. ويظهر هذا التهميش في الحرمان من الحرية، والتعليم، وحق الاختيار، وفي اختزال المرأة في أدوار نمطية، وتتجلّى الذات المهمَّشة في الرواية النسوية الجزائرية بوصفها ذاتًا تُقصى عن دوائر الفعل والاعتراف الاجتماعي، وتُدفع إلى هوامش الخطاب والوجود معًا، لا لقصورٍ ذاتي فيها، بل لهيمنة أنساق ثقافية تُعيد إنتاج الإقصاء على أساس النوع الاجتماعي واللغة والذاكرة. ففي أعمال آسيا جبار، تُهمَّش الذات الأنثوية داخل التاريخ الرسمي الذكوري، فتغدو المرأة شاهدًا صامتًا على أحداث كبرى لا يُسمح لها بتدوينها إلا عبر كتابة متكسّرة تستعيد بها صوتها المؤجَّل، حيث يتحول السرد إلى فعل مقاومة للهامش المفروض. (آسيا جبار، 2002، صفحة 52). كما تكشف أحلام مستغانمي عن ذاتٍ أنثوية تعيش التهميش العاطفي والرمزي، إذ تُقصى المرأة من مركز القرار في العلاقة، وتُختزل في دور الانتظار والتذكّر، بينما يحتكر الرجل سلطة الفعل والاختيار. (أحلام مستغانمي ، 2003، صفحة 102) .

ويتخذ التهميش في رواية فضيلة الفاروق بعدًا اجتماعيًا فجًّا، حيث تُدفع المرأة المعنَّفة إلى الهامش الأخلاقي، ويُحمَّل جسدها وحده وزر الجريمة، فتُهمَّش مرتين: مرة بالعنف، ومرة بنظرة المجتمع. (فضيلة الفاروق، 2009، صفحة 118). أما زهور ونيسي، فتقدّم ذاتًا أنثوية مهمَّشة داخل الفضاء العام، محاصَرة بأدوار نمطية تحدّ من فاعليتها فيتحول التهميش إلى بنية يومية تُمارَس عبر الإقصاء من الرأي والتأثير، لا عبر المنع الصريح فحسب. (زهور ونيسي ، 1985، صفحة 71).

وبذلك تكشف الرواية النسوية الجزائرية أن الذات المهمَّشة ليست خارج النص الاجتماعي، بل داخله على نحو غير مرئي، وأن السرد النسوي يسعى إلى نقلها من الهامش إلى المتن، ومن الصمت إلى مساءلة آليات الإقصاء وإعادة الاعتبار للذات الأنثوية بوصفها فاعلًا سرديًا وتاريخيًا.

5.4 الذات الباحثة عن الهوية:

لا تقف الرواية النسوية عند حدود توصيف المعاناة، بل تتجاوزها إلى تصوير ذات تسعى إلى اكتشاف هويتها، وتطرح أسئلة الوجود والمعنى. وتبرز الكتابة هنا كفعل وعي ومقاومة، تمكّن الذات من إعادة تعريف نفسها، فتشعر الذات الأنثوية بالاغتراب النفسي، وتُعد روايات أحلام مستغانمي من أبرز النماذج التي جسدت هذا البعد النفسي، حيث تظهر الذات الأنثوية في رواية ذاكرة الجسد بوصفها ذاتاً جريحة تحمل ذاكرة الوطن والحب والفقد.

تقول الساردة معبّرة عن وعي الذات المجروحة: "أنا امرأة لا تصلح لزمن لا يشبهني" (أحلام مستغانمي، 1993، صفحة 47)، وهو قول يكشف شعور الاغتراب الوجودي الذي تعانيه الذات الأنثوية داخل نسق اجتماعي ذكوري، باحثة عن موقعها الحقيقي، "أخاف أن أكون امرأة كاملة في مجتمع لا يريد للمرأة إلا أنصاف الأحلام" (أحلام مستغانمي، 1993، صفحة 58).

فالذات الأنثوية تسعى باحثة عن هويتها في ظل الصورة النمطية التي شكلتها المخيلة الشعبية، وفرضت عليها قيوداً أصبحت في ظلها متخوفة من البحث عن الكمال الأنثوي الذي يعد جريمة لا تغتفر، "لم أكن أطالب بحريتي، كنت أبحث فقط عن حقي في أن أكون نفسي" (فضيلة الفاروق، 2009، صفحة 76)الصراع الوجودي يتجاوز المطالبة الاجتماعية إلى سؤال الهوية.

6.4 الذات المتمردة:

تتجلى الذات الأنثوية في بعض النصوص بوصفها ذاتاً متمردة، ترفض الامتثال للأعراف، وتسعى إلى كسر القيود المفروضة عليها. ويُعد هذا التمرد علامة على انتقال الذات من موقع الضحية إلى موقع الفاعل.

وفي الرواية الجزائرية النسوية، تبرز آسيا جبار بوصفها صوتاً سرديًا يعيد كتابة التاريخ من منظور أنثوي. ففي روايتها الحب، الفنتازيا تتشكل الذات الأنثوية في مواجهة الآخر الاستعماري والذكوري معًا، حيث تقول الكاتبة: "الكتابة هي الندبة التي لا تندمل، لكنها الدليل الوحيد على أنني كنت هنا" (آسيا جبار، 1985، صفحة 64). وتكشف عن وعي الذات بدورها في مقاومة المحو التاريخي، "صوتي كان محجوبًا مرتين: مرة لأنني امرأة، ومرة لأنني أنتمي إلى تاريخ مكتوب بيد الآخر" (آسيا جبار، 1985، صفحة 72) كما يتجسد الآخر الاستعماري في صورة قوة صامتة تمارس الإقصاء، في مقابل ذات أنثوية تستعيد صوتها عبر الذاكرة والكتابة، وهو ما تؤكده جبار بقولها: "أكتب ضد النسيان، وضد الصمت المفروض على نساء بلادي" (آسيا جبار، 1985، صفحة 91). فالكتابة هنا فعل مقاومة، ووسيلة لتفريغ الصراع الداخلي للذات الأنثوية.

كما يتجسد الآخر الاجتماعي في منظومة الأعراف والتقاليد التي تضبط سلوك المرأة وتحدّ من حريتها. وتكشف الرواية النسوية عن الصراع بين الذات الفردية والنسق الجماعي، وتنتقد الخطابات التي تبرر الإقصاء باسم القيم. "أنا امرأة محكومة بذاكرتها، كلما حاولتُ الهروب منها أعادتني إلى وجعي الأول" (أحلام مستغانمي، 1993، صفحة 39). فهنا ينعكس صراع الذات الأنثوية مع ماضيها، حيث تتحول الذاكرة إلى عبء وجودي يقيّد تحررها. "كنتُ أعيش داخل جسدي كغريبة، أراقب امرأة تشبهني ولا أجرؤ أن أكونها" (آسيا جبار، 1985، صفحة 54). فالصراع هنا نفسي ووجودي داخل البنية الاجتماعية وقيودها المثقلة.

7.4 الذات الأنثوية الأمومية:

تُعدّ الذات الأنثوية الأمومية من أبرز صور تمثيل المرأة في الرواية الجزائرية، إذ تتخذ الأمومة بعدين متقابلين ومتكاملين في آن واحد: بعدًا قهريًا يُكرّس التهميش الاجتماعي، وبعدًا رمزيًا يجعل منها مصدر قوة وصمود وحفظ للذاكرة الجماعية.

ففي كثير من النصوص الروائية، تُقدَّم الأم بوصفها ذاتًا مُثقلة بالأعباء، تتحمّل مسؤولية الأسرة والمجتمع دون اعتراف حقيقي بكيانها الفردي، حيث تتحوّل الأمومة إلى وظيفة اجتماعية تُختزل فيها هوية المرأة، وتُقصى من خلالها رغباتها وأحلامها الخاصة. وتبرز هذه الصورة بوضوح في الروايات ذات الطابع الاجتماعي، إذ تُصوَّر الأم كامرأة صامتة، مضحية، تتحمّل العنف الرمزي والحرمان العاطفي والمادي باسم الواجب، مما يجعل الأمومة شكلًا من أشكال القيد الذي يعيد إنتاج الهيمنة الذكورية داخل البنية الأسرية، "كانت أمّي تعيش من أجلنا فقط، كأن حياتها توقّفت عند لحظة إنجابنا، ولم يبقَ لها من ذاتها شيء" " (فاطمة تواتي ، 2006، صفحة 83). وفي هذا السياق، «الأمّهات تعلّمن الصمت قبل أن يتعلّمن الكلام، وحملن الوجع كما يحملن أبناءهن"«(آسيا جبار، 2002، صفحة 41) فلا تُمنَح الأم حق السؤال أو الاعتراض، بل تُطالَب بالاستمرار في العطاء، وهو ما يحوّلها إلى ذات مهمَّشة داخل منظومة تقدّس دورها ظاهريًا وتقصيها فعليًا.

في المقابل، لا تقف الرواية الجزائرية عند هذا التصوير السلبي، بل تعيد مساءلة الأمومة وتمنحها بعدًا مقاومًا، حيث تتحوّل الذات الأنثوية الأمومية إلى ركيزة أساسية في حفظ الذاكرة والهوية، خاصة في سياقات الاستعمار والثورة وما بعدها. فتحضر الأم بوصفها حارسة الذاكرة الشفوية، وناقلة التاريخ غير المكتوب. "الأمّ هي التي تحفظ الحكاية حين يضيع التاريخ، وهي التي تهمس بما لم يُكتب" (آسيا جبار، 2002، صفحة 67) حيث تُمثّل الأمومة هنا قوة رمزية تحافظ على استمرارية الهوية النسوية والوطنية في مواجهة المحو والنسيان. "كانت الأمّ وحدها تعرف كيف تحوّل الفقد إلى صبر، والهزيمة إلى انتصار" (أحلام مستغانمي، 1993، صفحة 156)

فالأم لا تكتفي بالإنجاب البيولوجي، بل تُنجب المعنى والذاكرة، وتؤدي دورًا مركزيًا في تشكيل وعي الأجيال، مما يجعلها ذاتًا فاعلة في السرد التاريخي والاجتماعي، رغم تهميشها الظاهر.

وتتجلّى ازدواجية الذات الأمومية كذلك في الروايات المعاصرة التي تكشف الصراع الداخلي للأم بين ذاتها الفردية ودورها الاجتماعي، حيث تعيش تمزقًا نفسيًا بين الرغبة في تحقيق الذات والالتزام القسري بصورة الأم المثالية. وتكشف هذه الروايات أن الأمومة ليست تجربة منسجمة بالضرورة، بل فضاء للتوتر والقلق والشعور بالذنب، وهو ما يمنح الشخصية الأمومية عمقًا إنسانيًا ونفسيًا، ويكسر الصورة النمطية التي تقدّم الأم بوصفها كائنًا ملائكيًا منزوع الرغبة، "أخاف لأنني أمّ، وأتألّم لأنني امرأة لم يُسمح لها أن تكون غير ذلك" (لطيفة بن منصور، 2010، صفحة 119) وبهذا المعنى، تغدو الذات الأنثوية الأمومية في الرواية الجزائرية ذاتًا مركّبة، تتأرجح بين الخضوع والمقاومة، بين القهر والقدرة على التحمل، وتتحوّل الأمومة من مجرد دور اجتماعي مفروض إلى موقع سردي يكشف اختلالات المجتمع وبُناه القيمية.

وعليه، يمكن القول إن الرواية الجزائرية نجحت في تقديم الأمومة بوصفها تجربة وجودية مزدوجة، تُظهر المرأة الأم كذات مظلومة داخل نظام اجتماعي غير عادل، وفي الوقت نفسه كقوة صامتة تحفظ التوازن الاجتماعي والذاكرة الجماعية. إن هذا التمثيل

المركّب للذات الأنثوية الأمومية لا يعكس فقط واقع المرأة الجزائرية، بل يساهم في تفكيك الخطاب التقليدي حول رؤية الأم، ويعيد إدراجها بوصفها ذاتاً واعية، منتجة للمعنى، وقادرة على التأثير في مسار السرد والحياة معًا.

5. جدلية الذات الأنثوية والآخر:

تشكّل علاقة الذات الأنثوية بالآخر محورًا بنيويًا في الرواية النسوية الجزائرية، إذ يُقدَّم الآخر بوصفه مرآة تعكس اختلالات البنية الاجتماعية والثقافية التي تتحرّك داخلها المرأة. ويتنوّع حضور الآخر في هذه الروايات بين الآخر الذكوري، والآخر الاجتماعي، والآخر الاستعماري، بل وحتى الآخر الأنثوي، حيث تتخذ العلاقة طابعًا صراعيًا في أغلب الأحيان، يقوم على الهيمنة والإقصاء وعدم التكافؤ. ففي علاقتها بالآخر الذكوري، تُصوَّر الذات الأنثوية غالبًا في موقع الخضوع المفروض، "في حضوره أكتشف نفسي، وأعرف كيف يمكن للآخر أن يثير قواي ولماذا يخيفني" (أحلام مستغانمي، 1993، صفحة 121) ، حيث يمارس الرجل سلطته الرمزية والاجتماعية بوصفه أبًا أو زوجًا أو أخًا، محدِّدًا للهوية والاختيار، وهو ما يجعل العلاقة قائمة على التراتبية لا على الحوار.

وفي مقابل هذا التصوير الصراعي، تسعى الرواية النسوية الجزائرية إلى إعادة بناء علاقة الذات الأنثوية بالآخر عبر مساءلة أنماط السلطة وإعادة توزيع مواقع الفاعلية داخل السرد. ففي بعض الأعمال، يتحوّل الآخر الذكوري من سلطة قمعية إلى موضوع مساءلة، حيث تُعيد المرأة تعريف ذاتها خارج علاقات التبعية، التي تُقدَّم فيها العلاقة بالآخر الذكوري بوصفها علاقة متوترة، تجمع بين الحب والصراع، والاعتراف والرفض، ما يعكس وعي الذات الأنثوية بحقها في الاختيار والانسحاب وإعادة التشكيل.

أما الآخر الاجتماعي، المتمثّل في الجماعة والعادات والتقاليد، فيظهر غالبًا كقوة ضاغطة تُعيد إنتاج الصور النمطية للمرأة، وتفرض عليها أدوارًا جاهزة، مما يجعل الذات الأنثوية في حالة تفاوض دائم مع هذا الآخر الجماعي، بين الامتثال والتمرد" نجد بيننا ما لم يترك لنا المجتمع، دعماً وهمساً لفهم ذاتنا» (لطيفة بن منصور، 2010، صفحة 117)

كما تتخذ العلاقة بالآخر بعدًا تاريخيًا وثقافيًا، خاصة في حضور الآخر الاستعماري، حيث تتقاطع هيمنة الاستعمار مع هيمنة المجتمع الأبوي، فتجد المرأة نفسها محاصَرة بين سلطتين متداخلتين. وتبرز هذه الثنائية بوضوح في كتابات آسيا جبار، حيث تُصوَّر المرأة بوصفها ذاتاً مزدوجة الاضطهاد، تسعى إلى استعادة صوتها في مواجهة الآخر المستعمِر والآخر المحلي معًا، عبر استعادة الذاكرة واللغة بوصفهما آليتين للمقاومة.

ومن جهة أخرى، تمنح الرواية النسوية مساحة لعلاقة تضامنية بين الذات الأنثوية والآخر الأنثوي، حيث تُبنى علاقات الدعم والتآزر بين النساء بوصفها بديلًا عن العلاقات السلطوية، وتتحوّل المرأة الأخرى من منافِسة أو ظلّ إلى شريكة في الوعي والمعاناة، مما يعزّز تشكّل هوية نسوية جماعية تؤكد آسيا جبار في نساء الجزائر في شققهن على هذه الروابط التضامنية بين النساء، حيث تصفها بأنها "شبكة صامتة من الأيادي والكلمات الصغيرة التي تحمينا من الوحدة والظلم" (آسيا جبار، 2002، صفحة 65) فيظهر كيف تتحوّل العلاقة بالآخر الأنثوي إلى قوة مقاومة رمزية تحفظ للمرأة شعورها بالذات، وتمنحها القدرة على تجاوز الإقصاء الاجتماعي والثقافي.

وفي رواية الربيع اليائس لفاطمة تواتي، تظهر مشاركة المرأة للآخر الأنثوي كوسيلة لتبادل المعرفة والخبرة، حيث تقول إحدى الشخصيات: "حين نتحدث بيننا، نكتشف كم كنا نخاف وحدنا، وكم كانت القوة معنا حين شاركناها" (فاطمة تواتي ، 2006،

صفحة 89) تعكس هذه الممارسة السردية أن التضامن بين النساء ليس مجرد دعم عاطفي، بل فعل وعي يُسهم في إعادة بناء الذات وتحدّي القهر الاجتماعي.

وعليه، فإن علاقة الذات الأنثوية بالآخر في الرواية النسوية الجزائرية لا تُقدَّم بوصفها علاقة ثابتة أو أحادية، بل علاقة دينامية تقوم على الصراع والتفاوض وإعادة التعريف، بما يعكس تحوّل المرأة من ذات مُعرَّفة بالآخر إلى ذات تعيد تعريف الآخر من موقع الوعي والاختيار. وبهذا المعنى، تصبح الرواية النسوية فضاءً لإعادة صياغة العلاقات الإنسانية على أساس الاعتراف والتكافؤ، وكشف اختلالات السلطة التي حكمت علاقة المرأة بالآخر داخل المجتمع الجزائري.

6. خاتمة:

تُظهر الدراسة أن الرواية النسوية الجزائرية قدّمت تمثيلات متعددة للذات الأنثوية، تعكس تنوع التجربة النسوية بين الظلم والقوة، الانكسار والمقاومة، الانغماس في القهر والتحدي عبر الصراع مع الآخر والمجتمع والتاريخ. يمكن تلخيص النتائج الرئيسة فيما يلي:

- أبرزت الرواية الجزائرية معاناة المرأة من الهيمنة الذكورية والعادات الاجتماعية التقليدية، حيث تتحوّل الأمومة أو الصمت الاجتماعي إلى أدوات قمعية.
- أظهرت النصوص قدرة المرأة على استعادة صوتها وممارسة المقاومة الرمزية والفعلية، من خلال إعادة تعريف علاقتها بالذات والآخر، ورفض التقيد بالأدوار النمطية، إن القوة النسوية في الرواية ليست جسدية فحسب، بل رمزية وفكرية، تتجلى في وعي المرأة بذاتها وقدرتها على التأثير في مجرى الأحداث.
- كشفت الدراسة أن الأمومة في الرواية الجزائرية لها بعد مزدوج؛ فهي وظيفة اجتماعية قد تقيّد المرأة، وفي الوقت نفسه مصدر قوة وصمود وحافظة للذاكرة الجماعية، مما يجعل الأمومة موقعًا مركّبًا للهوية الأنثوية.
- إن علاقة المرأة بالآخر في الرواية الجزائرية متعددة الأبعاد، تشمل الآخر الذكوري، الاجتماعي، الاستعماري، والآخر الأنثوي. وتبين أن هذه العلاقة غالبًا ما تقوم على الصراع والتفاوض، وأنها فضاء لإعادة تعريف الذات، حيث تنتقل المرأة من موقع الضحية إلى موقع الفاعلة.

ويمكن القول إن الرواية النسوية الجزائرية نجحت في إعادة إنتاج الذات الأنثوية في شكل متنوع ومعقد، بما يكسر الصور النمطية ويبرز تعددية التجربة النسوية في مواجهة قهر المجتمع، ويرسخ حضور المرأة كفاعل مركزي في السرد والتاريخ والذاكرة الثقافية. كما تؤكد الدراسة أن هذه الأعمال الأدبية لا تقتصر على توثيق المعاناة، بل تمثل فضاء مقاومة ووعي، يسهم في صياغة خطاب نسوي جديد، قادر على إحداث تحول معرفي واجتماعي حول مكانة المرأة ودورها في المجتمع الجزائري.

7. قائمة المراجع:

1) بن مسعود، رشيدة،(2006): جمالية السرد النسائي، شركة النشر والتوزيع.
2) بن منصور، لطيفة، (2010): صلاة الخوف، منشورات الاختلاف، الجزائر.
3) تواتي، فاطمة، (2006): الربيع اليائس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
4) جبار، آسيا، (2002): نساء الجزائر في شققهن ، دار الآداب، بيروت.
5) دي بوفوار ،سيمون،(1983): الجنس الآخر، ترجمة عادل زعيتر، دار الآداب، بيروت.
6) السعداوي، نوال،(2006): المرأة والصراع النفسي، دار الساقي، بيروت.
7) الغذامي، عبد الله،(2000): المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
8) الفاروق، فضيلة، (2009): تاء الخجل، دار القصبة، الجزائر.
9) مستغانمي، أحلام، (2003): ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط 12.
10) مستغانمي، أحلام،(1993). ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت.
11) ونيسي، زهور، (1985): يوميات امرأة لا مبالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
12) ونيسي، زهور،(1985): يوميات امرأة لا مبالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
13) Showalter, E. A(1977) :Literature of Their Own, Princeton University Press